ولقد قدم للجنة الامتحان الطبية اطروحة قيمة موضوعها حياة الاطباء الاندلسيين الذين وردوا للمغرب واسماها « العلائق الطبية بين الاندلس والمغرب » وقد أوشكت ان تتم ترجمتها للعربية وقد أظهر فيها اطلاعاً على تاريخ البلادين الفكري وتفهم سياسة ملوك المرابطين والموحدين مع الفقهاء والفلاسفة اطلاعاً يظهر من وراءه أن صاحبه ذو فهم لما درس وأنه لم يقتصر على دراسة الطب وحده بل جال في معلومات شتى ، والكتاب مصنف حسب قوانين العلم الحديث من حيث الانتقاد والاستنتاج بعد البحث والتنقيب ومقابلة المآخذ والمواد فترجم فيه لبني زهر الثلاثة وهم : أبو العلاء [1] وأبو مروان [2] وأبو بكر [3] صاحب التيسير في المداواة والتدبير وأبي بكر بن باجة [4] وأبي حسن سفيان [5] الاندلسي وأبي الحكم بن غلندو [6] وأبي بكر بن طفيل [7] وأبي الوليد بن رشد [8] الخ ، وأتى في خاتمتها باستنتاجات ربما ناقشناه فيها حين تنشر الطبعة العربية وذيل الكتاب بنتف من كتاب التيسير وكتاب الاقتصاد لابي بكر وابن عبد الملك بن زهر ولد أبي مروان وحفيد أبي العلاء ، كما أنه قدم لمؤتمر تاريخ العلوم الطبية الذي انعقد أخيراً في السنة الجارية بمجريط عاصمة الاسبان رسالة عن الجذام أحرزت على استحسان المؤتمرين .

وقد نشرت له مجلة الجنوب الفرنساوية التي تصدر بمرسيليا فصلا قيما في عددها الصادر في غشت وشتنبر وهو عدد خاص نشرته عن أسباب روح المفاهمة بين اروبا والاسلام شارك في تحريره صفوة الكتاب والمستشرقين من بينهم الاستاذ ماسنيون المشهور بابحاثه الثمينة عن التصوف الاسلامي والمستشرق الاسباني اسين بلاسيوس وصديقنا اميل درمانغام صاحب حياة النبي عليه السلام والدكتور حسين هيكل وغيرهم ، وقد أحببنا أن نترجمه لقراء مجلة المغرب بزيادة بعض التعاليق المناسبة لموضوعه بمناسبة رجوع الدكتور فرج للمغرب ليطلعوا على فكرة الرجل ويكون باكورة لما سينشر بقلمه في هذه المجلة في المستقبل ان شاء الله .

عبد الكبير الفاسي
رئيس جمعية التاليف والترجمة والنشر

(١) وفاته سنة ٥٢٠ هـ — (٢) سنة ٥٥٧ — (٣) ٥٥٩
(٤) وفاته سنة ٥٣٣ — (٥) ٥٣٢ — (٦) ٥٨٠ — (٧) ٥٨٠
(٨) وفاته سنة ٥٩٥

أطباء الاندلس وعهد ابقراط (١)

ان للعلوم الطبية من ضمن العلوم التي استقاها العرب من اليونان المقام الأول بينها ، ولا اعتماد على ذلك القول

(١) ابقراط او بقراط الطبيب اليوناني الذي طبق ذكره الآفاق ولد بجزيرة كوس أو كو بالتفخيم كما ينطق بها الاطاليان وهي احدى اثني عشر جزائر بحر الروم التي استلمتها ايطاليا من تركيا بمقتضى مؤتمر لوزان في سنة ١٩٢٣ ، وكانت ولادة ابقراط سنة ٤٦٠ قبل ميلاد عيسى عليه السلام وكان مذهبه في الطب مبنياً على تغير الامزجة وساد في القرون الوسطى ولا زال يعمل به الى أن بزغ فجر العصور الحديثة اي الى القرن التاسع عشر والطب العربي منه مستمد وعليه مرتكز قال عنه أبو القاسم صاعد الاندلسي في طبقاته النفيسة : « بقراط سيد الطبيعيين من علوم الطبيعة وعلوم البرهان وقد ضم جالينوس اسماء تآليفه الى فهرست يشتمل على اوراق وذكرها مرتبة قراءتها ونبه على طريق نقلها وهي مائة ونيف » وقد ترجمت كتبه للعربية بقلم حنين بن اسحاق كما يذكر بعد في أيام الخليفة العباسي عبد الله المامون الزاهرة وقال عنه صاحب الملل والنحل « ابقراط واضع الطب الذي قال بفضله الاوائل والأواخر » ونقل ان ابقراط قال : « من سقى السم من الاطباء والقى الجنين ومنع الحمل واجترأ على المريض فليس من شيعتي » وله ايمان معروفة على هذه الشرائط وهذا مما يؤيد قول الدكتور فرج من كون عهد ابقراط كان معروفاً عند اطباء العرب ولا شك في ان الرازي وابن سينا وابن رشد والزهراوي وغيرهم من مشاهير أطباء العرب كانوا يعملون به ويحتذون اثره وها نص العهد المذكور مترجماً عن الافرنسية : « أقسم بالله تعالى وأعاهده أمام اساتذة هذه المدرسة وأمام رفقائي الاعزاء وأمام صورة ابقراط هذه بانني لن أخفر للشرف عهدا ولن أحيد في ممارسة الطب عن سبيل النزاهة ، واني أعالج الضعيف والمحتاج من غير أن اتقاضى منهم اجرة كما أنني لا أتقاضى اجرة تربو على قيمة ما أقوم به من عمل ، واذا ادخلت داراً اغض الطرف عما يروج فيها ولا تنبس شفتاي بسر أودعته واني لا أفسد الاخلاق بعلمي ولا أعين على الاثم ، وأقسم اني اعلم ابناء اساتذتي مما علمني هؤلاء تقديساً واعترافاً لهم بالجميل ، فان أنا وفيت بما واثقت الله عليه فليقابلني الناس بما أنا أهله من الاحترام وان نكثت عهودي فليجللني العار وليرمني رصفائي الاطباء بالخزي والاحتقار . »

الذي يجري كثيراً على اقلام مؤرخي الطب العربي ومؤاده هو أن عمل العرب في ذلك انما كان مجرد النقل عن اليونان بل الواقع هو انهم تمكنوا من تلك العلوم تمكنا ظهرت به على ايديهم في ثوب جديد مبتكر لا عهد لها به فكانوا ينطقون بالالفاظ والتعابير اليونانية كما هي حين لا يجدون لها مقابلا في لغة محمد عليه السلام ولم تكن تشمئز منها آذانهم رغماً عما ألفته من ترتيل الآيات القرءانية ولا يمكن أن يقال مثل ذلك عن الرومان مع ان الرومان دوخوا البلاد اليونانية وتحاكموا باهلها أي تحاكك فلم تظهر الكنوز العلمية اليونانية ويطلع عليها الناطقون باللغة اللتينية الا في القرن الثاني عشر المسيحي حين عمد مترجمون تحت اشراف قسيس طليطلة ريموند [1] المولود باجان الى ترجمة تلك الكنوز عن العربية الى اللتينية فاذا استثنينا سالس [2] الذي لم يكن طبيباً وانما كان جماعاً لمعلومات غيره فاننا لا نعرف كاتباً لتيني اخذ عن اليونان مباشرة دون أن يستقي علومهم عن العرب .

ولم يستمد العرب من اليونان علومهم فقط بل اخذوا عنهم الاعتقاد في نظرية الرقي وبينما نرى الرازي في الشرق يصرح بذلك ببلاغته ويترك علوم الحديث والتفسير الى ممارسة كتب ابقراط فانا نرى زميله في الغرب ابن زهر يمارسها من غير أن يترك غيرها ويحض تلامذته على مطالعتها في كل يوم ، ولم يكن همه الاقتصار على مزاولة الطب من حيث انه مهنة وعمل بل كان يقوده في ذلك تلك الفكرة السامية التي هي روح المهنة الطبية والمسئولية المحمولة على عاتق الطبيب في علاجه آلام الانسانية المعذبة، وقلما نص مؤرخو العلوم الطبية على هذا التأثر الذي لا ينكر المشاهد في كتب ابن زهر وحجتنا على ذلك التأثر هو ماكان عليه اطباء الاندلس في القرن الثاني عشر من معرفة عهد ابقراط وحفظه والتخلق به .

وهذا الشأن مما جهله كل من كتب عن العلوم الطبية عند العرب عموماً وفي الاندلس خصوصاً ونكتفي هنا بذكر جبرائيل كولان [1] القربنا بعهده فانه يقول في المقدمة التي افتتح بها طبعة التذكرة لابي العلاء بن زهر وترجمتها له ما نصه : « لا شيء يسمح لنا باعتقاد ان اطباء العرب كانوا يطالبون بمزاولة الطب حسب مقتضيات عهد ابقراط ، واما ماكان القدماء يلزمون به تلامذتهم من قواعد حسن السيرة فانه من باب القوانين التي يقتضيها حسن السلوك » .

وليس من الصحيح في شيء قول كولان « ليس له (اي عهد ابقراط) أدنى ذكر في اي كتاب من الكتب » والحال ان ابن زهر يقول في كتاب التيسير بعد ما ذكر ان الجهال وعجائز النساء ربما عرفوا احسن من الاطباء أنفسهم ادوية ضارة لاستعمالها في مقاصد اثيمة مذكراً الاطباء مثله بما عليهم من مسئولية ... « ان كان الطبيب طبيباً وكان مومناً بشريعته غير كافر بها ولا شاك فيها ولا في شيء من امرها وكان قد حفظ عهود ابقراط ومواثيقه فهو اخذ عهود الله وميثاقه أن ياخذوا العهود والمواثيق

(١) كان قسيساً لها من سنة ١١٣٠ مسيحية الى سنة ١١٥٠ ، وانتفعت بما ترجم على يده الامم الاربية المعتنية بالفلسفة والطب لذلك العهد ودرست تلك الكتب في كلية مونبلي وباريس وسالرن وغيرها .

(٢) سالس طبيب أو متطبب روماني عاش في القرن الاخير قبل المسيح في عهد اغسطس قيصر رومة الذي هو كعهد لويز الرابع عشر في تاريخ فرنسا وكلا العهدين أزدهرت فيهما العلوم والمعارف والفنون الجميلة وكان من اتباع ابقراط ولقب بشيشرون الطب لسلاسة كتابته في المواضيع الطبية العويصة .

(١) كان مدرساً بكلية الجزائر ولد سنة ١٨٦٠ وتوفي سنة ١٩٢٣ .

من تلامذتهم ... » ويقول ايضاً وقد اخذ على الشيخ أبي رحمه الله وانا صبي عند ما بدأت بقراءة الطب عليه[1]

ولا يشك احد بعد ما أتينا بالنص المتقدم في كون المحافظة على ميثاق ابقراط كانت تقتضي من متعلمي العلوم الطبية في البلاد الأندلسية ، وانا لنجد تذكير ابن زهر لاخوانه الاطباء في وجوب المحافظة على ميثاق اخذوا على انفسهم العمل به ذا تأثير في النفوس ويزيد في تأثيره كون ابن زهر نفسه عمل به في واقعة حدثت له وذلك انه كان ذاهباً الى ضيعة له بالبادية في يوم من ايام القرن الثاني عشر المملوء بالفتن ووقع في قبضة احد الثوار الذي كان محتلا البادية التي قصدها فأوتي له به وطلب منه تمكينه من سم قاتل : « فقلت له والله لقد صدقته اني لا أعرف شيئاً من ذلك ولا طبيب من حيث انه طبيب (يعرفه) الامن اتخذ له علمه بالغرض فقال لي وكيف وقد انكشفت إليك فخشيت منه على دمي فقلت له انكشفت لمن لا يكشف سرتي ، ثم قلت له انظرني في هذا الامر حتى اطلبه من الكتب ويتم غرضك إن قدر الله فقال لي ومتى فقلت له نصف شهر أجلني وعزمت على الفرار وعلني الأسف بقية يومي الى أن اضحى اليوم الثاني فجاءني رسوله فمشيت اليه وانا اظن إنما يريدني في ذلك وقد مللت الحياة فوجدت الرجل وقد اخذه الله بقدرته وهو لا يقيم ولا يفهم إلا بعسر وشغله والحمد لله مرضه عني وعالجته ونصحته على ما شرطه ابقراط ووكلت أمري معه الى الله » .

(١) صحيفة ١٣٣ من كتاب التيسير من خزانة باريس قسم المخطوطات تحت رقم ٢٩٦٠ لا يوجد من هذا الكتاب في المكاتب الاروبية الا ثلاث نسخ احداها في باريس فيها ٣٠٠ ص وهي التي ينقل عنها الدكتور فرج واخرى بخزانة اكسفورد بانكلترا والثالثة بفلورانسة باطالية والدكتور فرج عازم على طبع الكتاب حين تسمح له الظروف بذلك ولا يعلم هل توجد منه نسخ في المغرب وفي الشرق .

ووقع له مرة اخرى ان احد عمال علي بن يوسف المرابطي الذي اودعه السجن عشر سنين في مراكش طلبه يوم خروجه منه وساله رأيه في قدمه وكانت مصابة بداء الشوكة [1] فأشار عليه ابن زهر بفتحها فظن العامل ان الحامل له على ذلك هو مجرد البغضاء التي بينهما وعزم على الفتك به وقد صرح ابن زهر قائلا في كتاب التيسير [2] « ومع اني كنت ابغضه لم اقل إلا حقاً » .

فان هاتين الواقعتين اللتين يتمثل فيهما العمل بعهد ابقراط من طرف طبيب اندلسي من اطباء القرن الثاني عشر تكفيان للتدليل على تأثر العرب بالعلوم اليونانية التي لم يكونوا يعرفونها إلا بواسطة تراجم حنين بن إسحاق[3] البارعة التي ترجمها في الشرق في خلافة المامون بن هارون الرشيد العباسي .

(١) هو ما يسميه أهل فاس بودحاس ، ويسمى أيضاً الداحس وبالافرنسية Panaris compliqué .

(٢) صحيفة ١٧٥ .

(٣) هو أبو زيد حنين بن اسحاق العبادي تلميذ يوحنا بن ماسويه ولد سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٦٠ أو ٢٦٢ قال عنه صاحب طبقات الامم : « احد ائمة التراجمة بالاسلام » وكان عالماً باليونانية والعربية تعلمها على الخليل بن أحمد ، ونقل صاعد عن صاحب كتاب المذاكرات ان حذاق التراجمة بالاسلام أربعة حنين ابن اسحاق ويعقوب بن اسحاق الكندي وثابت بن قرة الحراني وعمر بن فرحان الطبري وكانت وفاته في أيام المتوكل ، وقد قرأت لبعض اللبنانيين أن حنين بن اسحاق وأنظاره أفسدوا ترجمة ما ترجموا لانهم كانوا يجهلون العربية واليونانية وقد أظطر الاربيون الى اعادتها حيث أنهم وجدوا بها فساداً وخللا، ولعمري ان هذا لبهتان عظيم ولا أعلم له مصدراً تاريخياً وانما هو محض تقول على رجال اخلصوا للعرب والعربية ويكفيك دليلا على عدم جهل حنين بن اسحاق بالعربية كونه تخرج على الخليل بن أحمد وادخل كتابه لبغداد لان الخليل كان بالبصرة ولعل ذنب اولائك المترجمين هو اخلاصهم للخلافة الاسلامية ولنا للموضوع عودة .